الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المسلمون في هذه الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

ادباء مصر المسلمون

﴿مصطفى كامل﴾ كانت وفاتهُ في سنة الدستور التركيّ قبل الاعلان بهِ باشهر في ٨ شباط ١٩٠٨ وهو في الرابعة والثلثين من عمرهِ . ولد في القاهرة في ١٤ آب سنة ١٨٧٤ ودرس على اساتذتها في المدارس الابتدائية والتجهيزيَّة والحقوقيَّة ثمَّ نال في فرنسة في جامعة طولوز شهادة الحقوق . ثمَّ رجع الى وطنهِ بعد الاحتلال الانكليزي فساءتهُ حالتهُ واجتمع بمن رآهم على فكرتهِ ولم يلبث ان تصدَّر بينهم بما ظهر عليهِ من الذكاء والنجابة والاقدام فاصبح خطيب الوطنيّين وزعيمهم لا يأخذه في تحرير وطنهِ والدفاع عن حقوقهِ ملَل من السنة ١٨٩٣ الى حين وفاتهِ وقد تشكل بهيئتهِ الحزب الوطني فاصبح رئيسها تُناط بهِ الآمال وتهتزّ لهُ الجوارح . هذا فضلاً عن شهرتهِ في فنّ المحاماة . وقد وقفنا على المجموعة التي نُشرت فيها سيرتهُ واعمالهُ من خطب واحاديث ورسائل سياسيَّة وعمرانيَّة وكلها تدلّ على عبقريَّتهِ وحبهِ الصادق نحو الوطن . وكان اوَّل امرهِ يحرّر في الصحف المصريَّة ومن اوَّل تصانيفهِ رواية فتح الاندلس على عهد طارق الفتت اليهِ انظار اهل وطنهِ . وهو في انشائهِ نثرًا ونظماً لم يقصد تنميق العبارة وتحليتها بالسجع والمحسنات الناقلة بل كان جلُّ قصدهِ ان يكون لكلامهِ وقعٌ في القلوب ليحملها الى ما يراهُ من صوالح الوطن بعبارة سلسة سالمة من التعقيد وفاسد التركيب . وهذا نشيد كان من بواكير قلمهِ .

هلمُّوا يا بني الاوطان طرًّا لِنُرجِعَ مجدنا ونُنزِّهَ مصرا

هلمُّوا كي نوفي القطر حقًّا نبناهُ فضاع بذاك قدرا
هلمُّوا وادركوا الليلاء حتى تنال بلادُنا عزًّا وفخرا
هلموا واتركوا الشحناء تكم وكونوا اوفياء فذاك احرى
أليس بشتنا تركُ المعالي تُباعُ بنير وادينا وتُشرى
ونحنُ رجالُها وبها لديها من الإسعاد والخيراتِ أدرى
فعارٌ أن نعيش بنير مجدٍ ونُبصر في السما شمسًا وبدرا
وعارٌ ان يكون لنا وجودٌ ويحظى غيرنا فوزًا ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزًّا ولا تبقَوا بذلٍّ كي يُسرَّى
وسيروا نحو هذا القصد حتى تُنادوا اجمعين بعزّ مصرا

ودونك مثالًا من نثره في تربية الاناث وفي التهذيب والتربية الدينيَّة

«ويجدرُ بي ان الفت انظاركم عمومًا الى امرين خطيرين: اوَّلهما تربية البنت لازمة وضرورية لأنها ذات الشأن الاوَّل في تربية الاطفال متى صارت امًّا وربيبة عائلتها وهي التي عليها الجزء الاعظم من اعمال هذا الوجود. وثانيهما ان تعلم البنين والبنات العلوم والفنون لا يفيد وحدهُ بل يجب قبل كلّ شيء تربية الروح حتى يصير الطفل متى شبَّ رجلاً شجاعًا متانًا بالوطنيَّة الحقَّة قائمًا بالمبادئ الجنسيَّة. وتصير الطفلة متى شبَّت امرأةً رشيدة مدبّرة تعلم ابناءها محبة البلاد وتغرس في قلوبهم وجوب التفاني في خدمة الامة وفي اعلاء شأن الوطن العزيز. فتكون بذلك المدارس منبع حياة الامة ومصدر وجود جديد...

«ويجب قبل كل شيء ان تكون التربية الدينيَّة اساس التعليم والتهذيب. فالدين عاصم من الدنايا رادع عن الخطايا معلم للفضائل محبب للكمالات. واذا بحثنا بحثًا مدققًا عن سبب تأخر المسلمين في سائر البلاد لوجدنا الاسباب كلها مجتمعة في سبب واحد وهو اننا ابتعدنا عن الدين وقصَّرنا في اتباع اوامره واجتناب نواهيه...»

وفي تلك السنة ذاتها فقدت مصر اديبًا آخر كان ايضًا من الدعاة الى الاصلاح اعني بهِ ﴿ قاسم بك امين ﴾ المولود سنة ١٨٦٥ والمتوفى في ٢١ نيسان ١٩٠٨ وهو في عزّ كهولته. درس على نفقة حكومة مصر في فرنسة وعاش زمنًا بين اهلها فرأى ما للمرأة الفرنسوية من المنزلة الرفيعة في وطنها وما لها من الفضل في تربية بنيها وترقية وطنها. فلما عاد الى مصر بعد درسهِ الحقوق ترقى في كل دوائر الشرع. ثمَّ خصَّ نفسهُ بتحرير المرأة المسلمة اذ رأى بانحطاطها والتضييق عليها آفةً على الوطن والتمدُّن فسبق الى المجاهرة بوجوب رفع الحجاب وباعطاء المرأة الحرية المعقولة وبتحرير سن

الإضرار والطلاق الى غير ذلك مما تسعى اليوم الجمهورية التركية الى اصلاحه بين الاتراك . ولقاسم امين عدة تآليف في هذا المعنى كالمرأة الجديدة والمرأة في حكم التاريخ والتربية والحجاب والواجب على المرأة لنفسها ولعائلتها . وانشأ مجلته « المرأة في الاسلام » ولم يكتفِ بما وجده في مواطنيه من المماكسات وله محاضرات ومقالات عديدة في غير مواضيع . وهو في كل كتاباته يجري جرياً واحداً يتعمد اقناع القراء اكثر منهم خلب عقولهم بطنطنة الكلام وتزويق الانشاء . ودونك ما قاله عن الخلاف المزعوم بين الدين والعلم :

« ليس حقيقي بانهُ يوجد بين الدين والعلم خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال ما دام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء . فمهما كثرت معارف الانسان لا تملأ كل فكره بعد كل اكتشاف يتحققهُ العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسئلة يحلها تظهر مسأله جديدة تطالبهُ بحلها . الآن وغداً يشتغل عقل الانسان بالعلم اي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعهُ ذلك من التفكر في المجهول الذي يحيط بهِ من كل طرف . . . »

وفي السنة ١٩١١ توفّى الله عالماً آخر بالحقوق هو عُمر بك لطفي مولود الاسكندرية سنة ١٨٦٧ تلقى العلوم في مدرسة اخوة المدارس المسيحية ثم دخل مدرسة الحقوق في القاهرة ونال شهادتها بل برع في فنونها حتى انتدبتهُ الحكومة للتدريس فيها . ثمَّ تفرَّغ للمحاماة وخصَّ نظرهُ بالاقتصاد فعُرف كاحد مصلحيهِ وصرف نظره للزراعة وظهرت ثمار سعيه في مشروعات وطنه لمصلحة الامة الاقتصادية او الاجتماعية وانشأ لذلك الاندية والنقابات ونشَّط دروسها في الشبيبة فأدّى بذلك لمصر خدمات مشكورة ساعدت على رقي قطر النيل

وكان عُمر بك لطفي من ارباب الكتابة ألَّف عدة تآليف في شرح المواد القضائية وفي الامتيازات الاجنبية . ولهُ في الافرنسية ايضاً تآليف مختلفة في الشرع الاسلامي كالدعوى الجنائية في الشريعة الاسلامية وحقوق المرأة فيها . وقد رثاهُ امير شعراء مصر شوقي بك بقصيدة فريدة اوَّلها :

اليومَ أصمدُ دون قبرك منبرًا وافقد الدنيا رثاءكَ نجوما

وأسفت الصحافة المصرية في السنة ١٩١٣ على فقد احد اربابها المتازين الاستاذ الشيخ عليّ ابي يوسف الازهري . وُلد سنة ١٨٦٣ ودرس اللغة والفقه في الجامع

الازهر ثمَّ احسَّ بميل للآداب فتمرَّن عليها ونظم الشعر فنشر ديوانهُ نسمة السحر. وفي السنة ١٨٨٥ انشأ مجلَّة علميَّة ادبيَّة سمَّاها الآداب ثمَّ عدل بعد مدَّة عنها الى جريدة المؤيد السياسيَّة حرَّرها سنين طويلة واكسبها بقلمه شهرة واسعة ونفوذًا عظيماً حتى عُدَّ كرئيس الصحافة الاسلاميَّة في القطر المصري وبلغ لدى كبار الدولة مقاماً معتبرًا بعد تذليله كل العقبات التي صادفها في سبيله . ومن ظريف شعرهِ وصفهُ للربيع :

أنحُ نحو الرياض عند مياهٍ طاب فيها الورودُ للظمآنِ
واقتطف زهر وَرْدِ خدِّ بطاحٍ رقَّ فيها ملاعبُ النزلانِ
وانظر الماء اذ يسيل بلطفٍ في وهادِ الرياض كالوَشْيانِ
يلثمُ الورقَ من غصونٍ قدودٍ هائمًا بالقدود والاغصانِ

ولهُ في الفخر :

يُشير لذُرْوة العليا بناني ويعنيني الوصولَ لها زماني
ولي هِمَمٌ تحثُّ الى الثريَّا وحظٌّ بالثرى رخص الهوان
ولي نفسٌ تعافُ الضيمَ وردًا وتأنفُ شيمةً تزري بشأني
ولي عند الحوادث سيفُ صبرٍ يذيب فِرِنْدُهُ الحدَّ اليماني
ولي عهد الشبيبة عفُّ نفسٍ تعفُّ عن الخنا في كل آنِ
أقارنُ بالعلا أملي ولكن يثارُ بيَ الزمانُ على قراني
وكم اشكو زماني للّيالي وكم اشكو اللياليَ للزمانِ
فيسمعُ قصتي هذا وهذا وما هذانِ الَّا ساحرانِ

ومن اصابتهُ المنيَّة في السنة ١٩١٤ ﴿ فتحي باشا زغلول ﴾ من ائمَّة العلوم الشرعيَّة واحد الكتبة الاجتماعيين في مصر . كان مولدهُ سنة ١٨٦٣ وبعد دروسه الابتدائيَّة والثانويَّة في وطنه تمَّم دروسهُ العليا في فرنسة ثمَّ خدم وطنهُ بالقضاء ونظارة الحقَّانية وبعدَّة تآليف خلَّفها من اثار قلمه بعضها في الشرع كشرحه للقانون المدني وكتاب المحاماة وكتعريب اصول الشرائع وبعضها اجتماعيَّة نقلها من الفرنساوية كسرّ تقدُّم الانكليز الكسونيين وكسرّ تطوُّر الامم وروح الاجتماع وخواطر

وسوانح في الاسلام

وتوفي قبلهُ في السنة ذاتها ١٩١٤ في اواسط كانون الثاني عالم آخر بالعلوم القضائية في مصر ﴿محمّد بك النجاري﴾ اضاف اليها انصبابهُ على الدروس اللغوية. ومن آثاره الجليلة قاموس فرنساوي عربي في خمسة مجلدات ضمّنهُ كثيرًا من المصطلحات العلمية والسياسية والطبية ولهُ معجم آخر عربي يحتوي خلاصة المعاجم العربية الكبرى لم يُنشر بالطبع

وفي السنة والشهر السابقين كانت وفاة اديبة مسلمة شيعيّة ﴿زينب فوّاز﴾ صاحبة «الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور» نقلنا عنهُ في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ١٠٨ــ١١٤) ترجمة جان دورك. ولها ايضاً رسائل منسوبة اليها تعرف بالرسائل الزينبيّة

وممّن توفاهم الله في السنة عينها ١٩١٤ اديبان مصريّان لهما بعض الآثار الكتابيّة اوّلهما ﴿الشيخ احمد مفتاح﴾ مؤلف رسائل تلوح فيها لوائح البلاغة كقولهِ يستدعي بعض الادباء الى مواجهتهِ من رسالة :

«... اني وان لم أكُنْ أسعدتُ من قبل باجتلاء طلعتك الزاهرة واجتناء مفاكهتك النضّة فقد دلّني على الليث زئيرهُ ، وعلى النهر خريرهُ ، وعلى السيف دويّهُ ، وعلى البقل أثرهُ. ولئن لم يجمعنا لُحمة النسب ، فقد جمعتنا حرفةُ الادب ، او لم يضمّنا قبلُ مرتبع ، فالطيور على اشكالها تقع ، وشبه الشيء منجذب اليهِ ، واخو الفضائل هو المولّل عليهِ ، وهذه الرُقعة وان وصفتُ لك بعض ما انا مطويٌّ عليهِ من التهافت على رؤيتك والميل الى صداقتك فقليل تنوب عن المشافهة او تقضي حاجات في النفس طالما تردّد صداها . وفي ظني انّ سيدي يودُّ ما أوَدُّهُ ، وعمّا قليل يُسفر صبحُ اللقاء ، وتتجاذب اهداب المعرفة يدي من سيدي فوق ما توسّمتهُ وسمعتهُ» ، ويرى مني ما يُرضيهِ والسلام

والثاني ﴿احمد افندي سمير﴾ اشتهر ايضاً بمكاتباتهِ للاصحاب. فمن قولهِ بمعنى ما سبق للشيخ احمد مفتاح في التعارُف والتوادّ :

«يعلم سيدي ان المودّة لا تُباع ولا تُشترى وانما هي نتيجة الاجتماع والتعارُف ، وقد خُلق الانسان مضطرًّا اليها لان انتظام العمران عليها موقوف. ولهذا شهد البيان بان المنفرد بأعماله المستبدّ بآرائهِ عرضةٌ للخطأ مظنّةٌ لعدم الثقة . . . اذ لا جرم انّ المرء كما قيل «قليل بنفسهِ كثيرٌ باخوانهِ» وقد سمعتُ عن السيد وقرأت من آثارهِ المأثورة ما حبّبهُ اليَّ وشاقني التعرّف بهِ لنشترك في منفعة تبادل الافكار . . .»

وقد اغتالت المنيّة في وقت الحرب الكونيّة سنة ١٩١٧ احد الادباء اللغويين الاستاذ الجليل ﴿حمزة فتح الله﴾ كان في مصر مفتش اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية. توفي ضريرًا وله تآليف شتى بالنثر والنظم ونشر في جرائد الاسكندرية المقالات المتعدّدة وكان يحبّ ان يوصف كلامهُ بالالفاظ الغريبة دلالةً على سعة معارفهِ بمفردات اللغة. ودونك مثالًا من بعض رسائله في الشوق

«مولاي أمّا الشوق الى رؤيتك فشديد وسَلْ فؤادك عن صديق حميم، وودٍّ صميم، وخلّة لا يزيدها تقاضُب الملوَين وتألّق التيّرين إلّا وثوقًا في المرى، وإحكامًا في البناء، وبقاء في الغراس، وتشييدًا في الدعائم. ولا يَظنّنَّ سيدي انّ عدم ازدياري ساحتهُ الشريفة، واجتلائي طَلْعتهُ المُنيفة، لتقاعُس او تقصير، فانّ لي في ذلك معذرة اقتضَت التأخير، والسيد المفضال الله بقاءهُ أجدرُ مَن قَبِلَ معذرة صديقهِ... وبعدُ فرجائي من مقامكم السامي ان لا تكون معذرتي عائقًا لكم عن زيارتي فلكم منّا ما تشتهونهُ ولكم فيها فضلُ البداءة وعليَّ دوام الشكران والسلام»

هذا مجمل ما وقفنا عليهِ من اخبار ادباء مصر في هذه الحقبة الثانية الى اواخر الحرب الكونية (لهُ بقية)

مطبوعات شرقيّة جديدة

Arens (Bernard) s. j. : Handbuch der kath. Missionen, 2de éd. complétement retravaillée avec 101 tables de statistiques et un graphique, *gr. in-8°, XX-330 pp.* 1925, *Freiburg i Breisgau, Herder et C^ie, Prix 26 Marks*

دليل الرسالات الكاثوليكية

ان ترقي الرسالات الكاثوليكيّة الدائم في كل اقطار المعمور دعا حضرة الاب أرنس اليسوعي الى اعادة كتابهِ الشهير في هذا الموضوع مع انهُ طُبع حديثًا. وها هوذا قد زاد على طبعتهِ الاولى مئة صفحة وزيّنها بالخرائط والاحصاءات الرسميّة وكل المعلومات التي من شأنها ان توقف القرّاء على اعمال المرسلين في سائر المعمور. ويا ليتهُ ينقل هذا الكتاب المشحون بالفوائد المدقّقة من الالمانيّة الى اللاتينيّة لتعمّ فوائدهُ العالم الكاثوليكي باجمعهِ ج. ل